

# **عواطف الحفار: «صدقي» وأنا عملنا في كتابة الصفات الثقافية الخاصة بأدباء وشعراء عالميين**



الرؤية الفكرية في كتابات صدقى إسماعيل

من جایته تحدث الأديب محمد طرببيه في مداخلته عما يميز صدقى في تنوع اهتماماته الفكرية والأدبية، وخاصة بسبب ما تعرض له كسائر أبناء لواء الأسكندرية السليب، كما أن انخراطه في مفترق العمل السياسي أغنى من اهتماماته الثقافية، قائلاً: «إذا كانت اهتماماته الثقافية تشمل القصة القصيرة (آلة والفقير) والرواية (العصاة) والدراسة الأدبية رامبو قصة شاعر متفرد والترجمة الإليسار عن بوشكين... أقول إذا كانت اهتماماته متعدة إلى هذا الحد الكبير بالقياس لعمره الزمني الذي لم يكمل فيه نصف القرن فإن تجربته السياسية والحياتية بشكل عام كانت مصدرًا غنياً من مصادر إثراء خطابه الفكري. «مضيفاً في مكان آخر «أجاد استخدام اللغة بمستويين وعلى صعيدين فعلى صعيد الأعمال الأدبية كالقصة والرواية نجد الكلمات ظللاً واستطلالات، وأن اللغة غنية بالإيحاءات وذلك وفق ما تقتضيه الطبيعة الأدبية للنص، إذ نجد اللغة مكتفة دالة واضحة، فالأنفاظ على قدر المعانى والأغراض ما يعكس فهما واضحًا في ذهن الكاتب إذ ما ثقمه بوضوح نعبر عنه بوضوح».

**صدقى إسماعيل الصحفى وجريدة الكلب**

في حين تحدث الأديب ببيان الصحفى خلال مداخلته حول ظاهرة جريدة الكلب، التي كتب فيها أهم الشعراء العرب والتي لم يكن لها تاريخ صدور محدد، بل كان بما تجويه ديوان شعر كبير، قائلاً: «عرفت سوريا ظاهرة طريفة ليس لها مثيل في الوطن العربي، وربما في العالم، فقد ولدت جريدة «الكلب» التي أنشأها وكتبها إبداعاً الأديب إسماعيل»، وبخط يده فقط، وكانت بدايتها في أوائل الخمسينيات، ١٩٥٢، وكانت لها بدايات أولى منذ ١٩٤٤ على شكل محاولات ساخرة لطلاب في الثانوية باسم «الانتشار»، حيناً وأحياناً باسم «الجنس»، حيناً آخر بمشاركة مجموعة أصدقاء منهم سليمان العيسى وغازي أبو عقل، أما «الكلب» فقد استمرت أكثر من عقدين، وكانت ذات ميزات خاصة جداً، فهي شعر كلها، حتى في إعلاناتها، ففي ديوان كبير من الشعر الساخر يوجهه «إسماعيل» إلى شتى أمور الحياة، صغيرها وكبيرها، وليس لها موعد محدد للصدور، وتوزع بيديها، وقد يسهم فيها على ندرة شعراء وأدباء بين حين وأخر».

ذكر الأستاذ الصفدي مجموعة من الأبيات تذكر بعضاً منها، وكان إسماعيل بين الحين والآخر يقدم تعريفاً بالجريدة، كان يقول في أحد الأعداد:

جريدة شعرية الأغراض  
وليس فيها أي سطر فاضٌ  
شعارها مائة القوافي

وحفلتم من وصمة الإسفاف  
في الشعر والفن وفي السياسة  
من دونها سوف تتضيع الطاسه

وعندما كان يقيم الإعلان في الجريدة فهو يستخدمه أحياناً كعنوان ذكي في صناعة الضحك، كما في إعلان عن فيلم سينمائي، يسرّب من خلاله إسماعيل موقفاً منه ضد أهداف السياسة التركية:

استعراض سينما دنيا  
قريباً فيلم «جتكيرخان»  
وفي دعاية حتماً  
لتركيا فلن يقطنان

## **جريدة الكلب.. تجربة فريدة في تاريخنا الأدبي والإعلامي تناولت الهموم كلّها بالشعر**

لُدِير الندوة كلمة

والحقوق، كنا نجتمع بين حচص المحاضرات، وكل منا يجهد في البحث والدراسة القراءة.... وصدق أنه كان بين هذه المجموعة طالب في السنة الأولى يهتم بالموسيقى الكلاسيكية، كان يجمعنا في أكثر الأوقات ليسمعنا المقطوعات الجميلة من الموسيقى ويعطينا لحة فنية عنها وفي الوقت ذاته كان يقدم في الإذاعة السورية برنامجاً يومياً للموسيقا، إنه الأستاذ صبحي المحاسب رحمه الله. لفت نظر الأستاذ صبحي اهتمامي بالموسيقا الكلاسيكية فطلب مني أن أقدم له برنامجه اليوم بالذات في الإذاعة، رفضت في البداية لأنني لا أعرف الإذاعة والتقديم، فقال لي أقربي جيداً هذه الصفحة وهي تقديم المقطوعات الموسيقية التي سأقدمها. ذهبت معه وجلست وحدي في الاستوديو ولم أشعر برهبة أو خوف. بعد أن أنهيت القراءة اتصل الأستاذ الكبير فؤاد الشايب وسأل من أين أتيت بهذه المذيعة المصرية؟. وتابعت الأستادة عواطف بأنه أخبروه باسمها وأنها سورية وكيف تكرر تقديمها لهذا الموضوع إلى أن استدعاهما الأستاذ فؤاد وطلب منها أن تقدم برنامجاً تقافلياً أسبوعياً عن النساء الشاعرات في العالم. وحول استمرار علاقتها بصدقى قالت «تخرج صدقى في الجامعة قبلي عام، وأوفد إلى حلب للتدريب واستمرت صداقتنا من خلال الرسائل المتبادلة التي تحمل أرقى مستوى من علاقات الحب والصدقة والعلم، وتحدث عن الكتب المتبادلة والقراءات في الكتب الفنية الأخرى». متابعة في مكان آخر في عام ١٩٥٧ أقدمنا على الزواج ببساطة متناهية، من دون أي ظهر من مظاهر الاحتفالات بالأعراس، وذهبنا في سفر طويل.... كان صدقى يتمنى بدماثة الخلق وسرعة البديهة والظرف والأدب واللطف، سريع النكتة ينشر المرح أينما كان». وحول تشجيعه لها نهل العلم أشارت «كنا نعمل معاً صدقى وأنا في كتابة الصفحات الثقافية الخاصة بأدباء وشعراء وفنانين عالدين تركت أعمالهم أثراً كبيراً في الأوساط الثقافية العالمية.. كما كنا خلال خمسة عشر عاماً عشناها معاً، نمضى فترة عطلة الصيف في بلد ما، حسب ما يتوافر لدينا من المال». وحول مؤلفاته ومنتجه الفكرى الذي تركه لنا قالت «في عام ١٩٧٢ توفي صدقى إثر نوبة قلبية وترك أعداداً كثيرة من الكتابات المخطوطية أو نصوصاً معدة للنشر لكنها مؤجلة.. وعدد لا يحصى من الأوراق المبعثرة. مضت فترة طويلة بعد وفاته ولم تتمكن أي جهة من العمل على التمويل للطباعة، إلى أن علم سيادة الرئيس حافظ الأسد بوجود عقبة أمام طباعة مؤلفات صدقى، وفي لقاء أتيح لي مع السيد الرئيس، قال لي «أنا سأتبني الموضوع وأطالب من القيادة القومية طباعة جميع المؤلفات». فضل لن أنساه. وفعلاً طبعت الأعمال في ستة مجلدات، ولكنها لم توزع لاعتذار عدد من المكتبات عن ذلك، وبقيت هذه الكمييات الهائلة من النسخ في غرفة، وأخيراً تم إهداؤها وحفظت في مكتبة الأسد».

إنه لحب كبير. الحب لم يجمع رجل بسمرة عمره ورفيقة دربه فقط. بل كان حباً كبيراً للكلمة ولمزجها بالأحساس لتكون فيضاً كبيراً من السطور الحية في الشعر. حباً كبيراً لأدب عبر كل العصور في توق الإلاطع والبحث لنهل المعرفة ومنتها للجميع من خلال المؤلفات. وكان أيضاً حباً كبيراً للعمل الصحفي وفي رصد كل الأخبار، مهما كان نوعها من سياسية وثقافية واقتصادية وحتى تسويقية أو إعلانية، ولكن كلها كانت تصاغ بأسلوب فكاهي وساخر، لم يعرف مثله ما نشر من جرائد وصحف في الوطن العربي. إنه أبو الكلمة في الأدب والرواية والمسرح والقصة والترجمة صدقى إسماعيل. ولد في ١٩٤٢ في حى العفان بمدينة انتاكية فى لواء الاسكندرية، وهو الابن الثاني للشيخ على إسماعيل، وشقيقه الأكبر هو الفنان أدهم إسماعيل وشقيقاه الأصغران هما الفنانان عزيز ونعمى إسماعيل. كان والده يملك متجرأ صغيراً لبيع الأقمشة في سوق الجسر يانتاكية. وتلقى صدقى دراسته الابتدائية في مدرسة حى العفان، وتابع دراسته في ثانوية انتاكية عام ١٩٣٦، والتحق بدار المعلمين حتى عام ١٩٤٨، وبعدها انتسب إلى كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة دمشق، ثم تخرج عام ١٩٥٢، وحاز شهادة الليسانس بتقدير امتياز. ذلك ثال شهادة دبلوم في التربية وعین مدرساً في مدينة حلب، عين أستينا للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٨، أسهم عام ١٩٦٩ في تأسيس اتحاد الكتاب العرب وتولى رئاسته حتى عام ١٩٧١ ورئاسة تحرير مجلة الموقف الأدبي. من مؤلفاته: رامي، العصاة، الله والفقير، سقوط الجمرة، الأذنيد، العطّب، مسلسل أسعد الوراق وجريدة الكلب وغيرها الكثير من الدراسات ومجموعات القصائد.

ولأن سوريا عبر تاريخها الغارق في العصور تنتهي من أبنائها من يخطون في صفحات تاريخها، الفعل المبدع المنير الذي لا يمكن أن ينسى مهما تناهى عليه الزمن، كان الواجب من أبنائها في الزمن الحاضر تكرييم أيامهم. واليوم هذا الأمر تقوم به وزارة الثقافة ممثلة بوزيرها محمد الأحمد والذي برع اياته تمت اللنوة الثقافية العاشرة بعنوان «صدقى إسماعيل.. الفكر والحكاية» في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وقد تضمنت اللنوة التي أدارها الدكتور إسماعيل مروة أربعة محاور.

برقة شريك عمرها وجهاً الكبير صدقى، الذى كان متذبذبة لقائة معها محركاً وياقناً للإبداع والsusy الجاد لكتاب الكلمة والإغاثة فيها، قائمة: «التقينا في جامعة دمشق، صدقى؛ وأنا كنت في السنة الأولى قسم الفلسفة وعلم النفس، وكان هو في السنة الثانية في القسم نفسه، وتجمعنا المحاضرات بين السنة الأولى والستة الثانية، وكان طلاب السنة الثانية من أكثر الطلاب ثقافةً وإطلاعاً ونضجاً، ودخل أغلبهم معترك العمل قبل انتسابهم إلى الجامعة، حيث لم يكن وقتها قد طبق قانون الحصول على الشهادة الثانوية بنفس العام، وكانت متحمسين جداً لفهم القضايا العربية وقضايا الفكر الإنساني وقضايا الحياة العامة... وكانت تجري حوارات ومناقشات في هذه القضايا بين الطلاب من تيارات سياسية واجتماعية مختلفة، ف تكونت مجموعة من هؤلاء الطلاب من السنين الأولى والثانية، اختتلت مقراً لها في ندوة الجامعة، وكثيراً ما ينضم إليها طلاب الطب

في رحيل المحامي أحمد عمران الزاوي

# الظاهرة الموسوعية والطاقة المعرفية

عبد الناصر وقصيدة الجواهري في رحيل  
عبد الناصر، قارن بين كافور وفرعون  
لبدوي الجبل وقصيدة فرعون لتديم  
محمد، كتاب يستحق القراءة والوقوف.  
برحيل أحمد عمران فقدت الساحة الأدبية  
السورية أحد أعلامها، وقاماتها الكبيرة،  
لم تتنل أعماله ما تستحق من الدراسة  
والتعريف شأن كل الكبار الذين لم يطالوا  
المطلوب من الدراسة من ساطع الحصري  
إلى قسطنطين زريق وذكي الأرسوزي  
وبدوي الجبل وتديم محمد وسليمان  
العيسي وعمر أبو ريشة وشفيق جري  
ورضا رجب وحامد حسن وغيرهم من  
الكتاب.  
كان د. عمران جاداً ودؤوباً ويحترم  
عامل الزمن، كان لافتًا في تمكنه اللغوي  
والقاموسي.  
وداعياً يا «أبا منذر» أنت في الذاكرة  
والوجودان، وفي رقم الكبار من الأصدقاء  
على قلتهم، آخر صوت لك يردد في آذني كان  
يوم عبد الأضحي ١٠ ذي الحجة عندما  
صيحتك معايداً، وطالباً لك العمر المديد،  
لتحته القبر، وفلسفته الحياة في الولادة  
والموت.

وشوقي، وحافظ... إلخ، وأنهم وأخرين  
أقاموا أضاؤوا ثلمات العقل العربي.  
في اشتغاله الأدبي كان مؤلفه الكبير:  
(نديم محمد فارس لن يترجل) بلغ عدد  
صفحاته أربع مئة وخمسين صفحة  
بحكم قربه من نديم محمد في طرطوس  
عرف عنه مالم يعرفه الآخرون.

قدم في مؤلفه هذا الله الوطنى والقومي  
عند نديم محمد، وخيبة الأمل القومى  
لديه، ووقف عند القمة الشعرية  
الإبداعية وهو ديوان «آلام» فقسمه إلى  
ثلاث مجموعات، وما حوتة كل مجموعة  
من الأناشيد، وتاريخ صدورها. أشار  
للإبداع الاستثنائي في ديوان «آلام»  
فضل د. عمران في دراسة «آلام» ووقف  
عند طاقات مختارة مما حوى من شعر،  
وخاصة النشيد الثالث وذهاب الحببية  
لغيره، تطرق لعلاقة نديم بعد الناصر،  
وكيف مدحه وهجاه وعندما رحل عبد  
الناصر رثاه، وشعر بالفراغ القومى.  
تحدث د. عمران عن الكبراء والخمرة  
في شعر نديم محمد، وعن الريف والقرية  
في شعره، عن لبنان، وعن فلسطين، قارن  
بين قصيدة «نديم» صمت الرعدود في رثاء

| يوسف مصطفى  
كان حاضر الذاكرة،  
والمزاج، كان محدثاً بـ  
ومتكلماً يامتياز، سلاـ  
الشواهد، الإسناد المعرفيـ  
والرد. ثقافة قبول الدـ  
استعلائياً، أو فارضاً،  
يملك ثقافة الحوار وأدبـ  
معرفة، وثقافة الآخرين  
ونعاني الادعاء الثقافي، وـ  
فالثقافة المجردة لا تكتـ  
قبل العلم) وأدب الحـ  
أساس في صحته وفائدته  
عندما يرحل الدكتور أحـ  
قامة كبيرة في الإنتاج النـ  
والإبداعي.. كتب في الاـ  
الإسلامية، والفكريـة وفيـ  
ما كتب وقيل في هذه الـ  
الكثير من المقولات، كانـ  
وقرأته للإسلام قراءةـ  
ومسؤولة.. لم تكن دفاعـ  
تقليدية بل محاكمة، وـ  
قررتـه الحقوقية، وأمتلاـ

نافذة

الدلالي السياسي.

أما كلمة النظام فهي تعبير عن الشيء الحسن المنظم غير الفوضوي، وعكسها الفوضى، إلا إذا كان لا ندرك معنى وعمق المصطلح الذي أطلقه المحافظون الجدد (الفوضى) سواء كانت موصوفة بالخلاقة أم غير موصوفة، لأن تعبير النظام يحمل دلالات إيجابية فقد أطلق في الدلالة الكبرى على الدولة لأنها تحمل مهمة تنظيم المجتمع، فهي المطبقة للأنظمة والقوانين، وهي التي تقرر الحرب والسلم، وهي التي تحدد السلاح وجوده، وهي التي تقرر الأنظمة التعليمية والمناهج، وهي التي تفرض النظام القضائي، وهي التي تحدد نظام الحكم، وهي التي تخثار ممثلي الشعب، وهي التي تتنقى - كما يفترض - أفضل الطاقات والخبرات لإنجاز المهام، ومهمما كانت الغايات للدولة تخثار الأفضل فلأنه الأقدر على الإقناع وتطبيق الرؤى وتحمل مسؤولياتها... فهذا يعني بالطلاق أن كلمة النظام كلمة إيجابية، ويجب أن نستخدمها وألا نستخدم سواها، وأن نفرض استخدامها بوصف أو بغير وصف... ومنذ عقود أخذت كلمة النظام أو الأنظام دلالات سلبية عندما وصفت: أنظمة رجعية، أنظمة مأجورة، أنظمة استبدادية، أنظمة فردية، أنظمة دكتاتورية، أنظمة رأسمالية، أنظمة شيوعية، أنظمة مختلفة...! وفي كل هذه الأوصاف تعتمد غير مقبول وغير مسوغ مطلقاً، فالشمولية في الأحكام توقع أصحابها في الخطأ، وبالتالي تنشئ في ذاتة الاتهام، الاتهامات

وبناسبه نصف في حالة استخدام أسلوب تصفه بالطعام، ضمن ما يسمى الأنظمة الشمولية أو الأنظمة الأيديولوجية أو الأنظمة الحزبية، وما شئت يمكن أن ينزل تحت هذه المسميات، والقارئ المتمعن يجد أن هذه الصفات غير مقتصرة على دولنا العربية، بل هي تطلق على أي نظام في العالم، لكنه ضيق الأفق، ويؤكد المريب يقول خذوني، جعل كثيرين من بلداننا يغفرون من استخدام كلمة النظام، ويجدونها منقحة للدولة، علماً بأن مفهوم الدولة على جلالته دون النظام، فإذا افتقرت أي دولة مفهوم الدولة المنظمة صارت دولة فاشلة، بينما يمكن للنظام أن يبني دولة أو يستعيد دولة أو يستعيد سيادة.

وللتدليل على قيمة النظام وأهميته، لابد من الوقوف عند الهرمية والمسؤولية التي جعلت النظام، وخاصة في الحالة السورية، قادرًا على تقديم ما يجب تجاه الإنسان، وإن اعتري هذه المسؤولية بعض الوهن والضعف، وصغر بعض النفوذ، إلا أن النظام حافظ على قدر كبير من مكانته ومن مكانة الناس في المناطق التي لم تخرج عن السيطرة بفعل خارجي، هذا على أرض الواقع، أما في مجال الحوار والسياسة فقد رأينا النظام على أحسناته من يتحدثون عنه في مواقف محددة لا تتغير إلا بقدر التحركات على الأرض، وكانت المفاوضات تتطلب من ثوابت، وهنا لا أعني التثبت، وإنما أرمضية الحوار... وفي الجانب الآخر في ظل غياب النظام رأينا حكومات تتشكل، وكلها تحمل من داعميه صفة المؤقتة، ولكن لأن تلك الجهات لا تملك نظاماً، جاء من جاء، وغادر من غادر ولم تترك أثراً، وأنه لا نظام ينتظمها كانت المواقف متحولة متبدلة بتبدل الظروف والشروط، وأراء الداعمين، لأنها تخضع لأنظمة قد تتلاقي، وقد تتصادم، ولا تخضع لنظام أو منظومة واحدة، وعلى الأرض رأينا فرقاء كثيرين، وبعضاً يعرف أسماء بعض القادة، ويعرف مؤهلاتهم واستيعابهم، لذلك لم نجد أي تنظيم، ولم تستطع هذه الفرق أن تحقق نظاماً، لأن الهرمية مفتقدة، وأن مفهوم النظام القائم على الدراسة والتوجيهات لا يمكن تطبيقه في مجتمع الفوضى.

في الحالة السورية سمع كثيرون من آراء طرifice ومؤللة، وبعضاً منهم صار يتعين أن يتمكن النظام - السلطة - من الإمساك بزمام الأمور، وبعضاً منهم قال: مهما فعل النظام فهو أفضل، وهو أكثر ضماناً للحياة واستمراريتها، واستمرار تدفق الغذاء والدواء وأسباب الحياة! سمعنا ذلك من أناس لا يحبون السلطة لمجرد الحب، ولا يمكن أسباباً أو أعداء، ولا يغفرون بين النظام والدولة، ولا يميزون بين الأشخاص والدولة، ويمكن أن يحملوا الدولة كل الأوزار والأغلال التي يرتكبها الأشخاص الموجودون في النظام، وهم يرتكبون هذه الأخطاء بحق الدولة قبل أن تكون بحق أحد... وهنا تبرز أهمية النظام، فهو وحده القادر على محاسبة المسوء والمقصر وهو القادر على التغيير بأالية الدولة، بينما لا تقدر الفوضى على فعل ذلك، ومهمها أو تبيت الجماعات الأخرى من قوة ودعم، فإنها غير قادرة على الفعل، والحالة الليبية تمثل أمامنا لتريك جماعات متعددة، دولاً داخل دولة، لكل جماعات نظام وأهداف، وكلما اقتربت الحلول من نهايتها تضاربت مصالح الجماعات، بل تضاربت مصالح

رؤساء الجماعات والأنظمة، فعادت الأمور إلى نقطة البداية !  
وهنا، ومن دون أي مجاملة أو بحث عن مسوغات، فإن أعلى ما يمكن تقديره أن سوريا ببقاء جيشه ورئيسها حافظت على الدولة المؤسسات، وإن شئت، حافظت على النظام السياسي والإداري، فجنبت سوريا الفوضى والعبيضة، والمتابع- حتى الخارجي - يتملّكه العجب من أن العمليات كلها تجري بلا تأخير من التربية وامتحاناتها، والوظائف ومرتباتها، والخارجية ومهامها، والمجتمع وشئونه، والأزمة وإدارتها، وكل ما نسمعه من تذمرنا نحن الذين نعيش في سوريا يأتي من رغبتنا في نهاية سريعة لا أكثر، ومن الحرص على أن يوضع حد لكل شيء لتبدأ سوريا انطلاقتها.. الحب في أن يرمم النظام مفاصيل سوريا، وأن يشعر هذا المواطن الذي لم يغادر سوريا، وهو قادر على المغادرة، بأن بقاءه وعمله موضع تقدير النظام، هذا النظام القادر على التخلص من الشوائب داخله بقدر قدرته على التخلص من الطحالب الخارجية التي تحاول اعتراف سبيل الخلاص .

النظام تنظيم وخلاص من الفوضى، وما علينا إلا أن نرفع رأيه النظام القادر على المسيرة وإصدار القرار، وإعطاء إشارة النهضة من جديد... وفي سوريا تبدأ الحياة غداً.. والغد نظام قادر على الفعل والانطلاق.

إسماعيل مروة